الفصل الثالث عشر

«حسان يضرب الدفتر أرضا ما هذا حياة؟ كل ما قرأته قبل هذه السطور، أدخل الحزن لقلبي وأرهقني ولكن هذا يخيفني، هل أحبته؟ لا لن أكمل هذه ثاني علبة سجائر أدخنها اليوم سأبقى على الأرض وأنام لم يعد باستطاعتي أن أكمل، نار الغيرة تكاد تحرقني استلقيت على الفراش وكأن الفراش تحول لشوك يغرز في جسدي، لن أستطيع النوم يجب أن أعلم ماذا حدث

يتابع حسان القراءة»

انتهينا من طعامنا وذهبت أغسل يدي، كنت أتعمد أن أتمايل أمامه كفراشة بخفة حتى رأيته يلاحقني بنظراته، وعيناه يشع منهما بريق، لدرجة إني شعرت فيهما دمعا جميلا يزيد جمالهما، فرح هو بلعبة جديدة يلعب بها وحين يملها يرميها ليأتي بغيرها، لثوانٍ تراءى أما

ناظري محمود حين تعانقت أيدينا، وتاهت روحي معه وصرت مزيجا من رائحة المطر والتراب وذلك الخدران الجميل الذي لم أستطع يوما أن أنساه، الى أن حدث ماحدث، في بيت حسان، ابتعد محمود لاأريد تذكرك ارحل عن جسدي وروحي، أريد اليوم أن أعيش حياة مختلفة مع رجل حقيقي، سمعت صوت أحمد ينادينى برقة.

حياة حبيبتى تعالي هاتي يدك، ماذا فعلت بي

حياة حبيبتى تعالي هاتي يدك، وأمسك يدي مشيت معه دون أي كلمة، مبحرة في حلم حلقت روحي بين الحلم والواقع وجدتني ملتصقةً الجدار وهو يقف يده الثانية على الجدار، وعيناه تتابعان معزوفة يده التي تمنيتها سيمفونية طويلة الأمد، أريدها لا تنتهي أردت لهذا الزمن أن يقف عند تلك اللحظة، أخذت يده تفك أزرار قميصي لمتصفه وشدني لصدره، سرت رعشة غريبة إلى جسدي وأنامله تكمل طريقها لكامل جسدي وكأنه يتلمس لوحة فنية.

اقتربت شفاهه من ثغري، شعرت ببرد الصقيع يسري في عروقي، أين ذاك الدفء، وتلك الرغبة الجامحة في الذوبان بين ذراعيه، أبعدته عني بنفور، واتجهت نحو الباب مسرعة غاضبة، وقلت: يجب أن أذهب تأخرت عن والدتي، فتُرت ملامح وجهه،

كان مستغربا من حالة التقلب تلك لم تكن دلال أوغنج عاشقة وبصوت غاضب يخفيه بابتسامة:

- ما بك أيتها المجنونة؟

ماذا حدث إنها أجمل لحظات الحب بيننا، حلقنا في سماء الحب والسعادة تغمرنا ماذا حدث أجيبيني؟؟

لم استطع الكلام فتحت الباب وخرجت وأنا أنسق شعري المبعثر الذي أصبح كموج البحر بهياجه، لشدة ما بعثر، بيديه، وأزرار قميصي، كل ذلك كنت أقوم به بحركات عصبية وأنا أسير دون أن ألتفت إلى الوراء.

وهو يناديني حياة انتظري سأوصلك وأسرع وفتح باب السيارة

وقال: تفضلي سيدتي المجنونة، أحبك رغم جنونك، لك شفتان شهيتان، كم كنت بشوق لتذوق رحيقهما، هربت من بين يدي وأن أهم بهما هل خفت من التهامي لهما دون رحمة.

لم أجد ما أقول ابتسمت. وتلك الفوضى في رأسي تزداد عشوائيتها، احترم أحمد صمتي وفتح مسجل السيارة على موسيقى هادئة.

اعتراني شوق عارم لفراشي و أن ألملم أجزاء جسدي المبعثرة وأنام لعلي أهدأ من كل ما أنا فيه، نظر أحمد إليّ وشاهد دموعي كانت تنزل دون شعور مني.

- ما بك يبدو أني استبقت الأمور، كان علي أن أنتبه أنك متوترة من.وضع والدتك أنانية مني أليس كذلك؟

- شعرت بلهفتك لي، أنفاسك الحارة وجسدك الملتهب شوقًا ليس أقل من شوقي إليك، نسيت من أنا وأنت بين ذراعي، كيف لي أن أتذكر والدتك، ولكن أعدك حبيبتي أن يكون لنا لقاء آخر يستمر مدى الحياة وتكون بيننا تلك الرقصة الأبدية

وأخيرا وقفت السيارة ووصلت للمنزل نزلت ومشيت دون

أي كلمة. ناداني: حياة

التفت إليه ببطء، كان يلوح بيده وهو يبتسم لي فعلت مثله ودخلت المنزل بحالة ذهول.

- كيف حالك أمي، هل حاولت المشي اليوم...

- نعم حاولت تعثرت قليلا ولكن الحمد لله قبل العملية لم أكن أستطيع الوقوف.

- أمي أنا متعبة وبحاجة للنوم هل تريدين مني شيئا قبل النوم أقوم به.

- لا حبيبتي نامي الإرهاق واضح عليك.

أخذت وسادتي دون أن أغير ملابسي، ارتميت على فراشي تائهة مع ذاتي، تكاد تصيبني بجنون تلك المتناقضات، أردت الخروج من تلك الشرنقة التي حاصرتني عبثا ما أحاول، كان الليل يسكن داخلي، وتهاجمني تلك الأسئلة ماذا حدث لك، لما هربت منه وأنت تتوقين عشقا له، كيف تحول الدفء وأصبحت فتاة الثلج لم أجد جوابا لكل ما يجول بخاطري، كانت رعشة تسري فيها الرغبة لأرتوي عشقا بين ذراعيه، رغبة للانصهار به هي لحظات تاهت مني في غياهب الماضي، وصوت زوج أمي كقرع الطبول أصابني منه الصرع «أحبك أحلم بك منذ صغرك وأنا انتظر هذا العناق» وتلك الشفتان الغليظتان تطبقان على شفتي، وأنا بحالة غثيان تداخلت الأحداث بذلك المزيج المتناقض بين الجنس المبكر ومشاعر الحب الناضجة، المحجوبة بأسلاك شائكة من ماضٍ لاينسى، هاجمتني صورة تلك الليلة مع الفتاة التي شاركتني الفراش يوما، بلمساتها الجنسية، وتلك المتعة الآنية، ومايلي من شعور بالذنب والعداء لجسدي بعدها، وهجوم آخر من ذاك القريب الذي كان أول من بدأ دروس التعليم بحركاته التي عرفت بعدها تضاريس جسدي ومواقع الإثارة الذاتية، وها هي صورة محمود تتبلور أمامي لتلغي كل ما قبلها من صور أرهقتني على مدى الزمن، أية نشوة وأي نبض أتاني منك كنت أول من جعلني أعرف نشوة الحب دون ملامسة، وبوحشية الغريزة عندك وخلف غرفة مغلقة أضعت مني تلك المشاعر وسرقت رعشة القلب وعشق الروح، والفرح بتلك النشوة

وحل محلها قشعريرة أشبه بالمرض المقزز، يبدو أن الحب الأفلاطوني الذي أحلم به يتحول بعد لحظات إلى هوس بالجسد حتى لو كان من خشب، هذا ما جعلك تهربين رغم أنك كنت تتوقين إلى هذا اللقاء وتمنين نفسك بمثل هذا العناق خوفا أن تنتهي تلك المشاعر الجميلة بانسجام جسدين لتجدي نفسك كارهة له ولجسدك.

أفقت من كابوسي هذا على صوت والدتي

– ما بك حياة أي كابوس كنت فيه، تارة تصرخين وتبكين ما بك؟ لا تقلقي أنا بخير أي قلب حنون تملكين لا تخافي لقد بدأت أقف وهذا يعني أني قريبا سأعود للمشي، انهضي حبيبتي واشربى كوبا من الماء.

نهضت من فراشي أضعف من نملة في مشيتها، قمت ببعض الواجبات تجاه والدتي وارتديت ملابسي على عجل وذهبت للعمل، وروحي تصرخ بين ضلوعي ناقمة على وجودها في جسد لايحمل إلا وزر الماضي ومتناقضات أرهقتها، كنت أحلم وأنا بكامل صحوي، ورغم ضجيج الشارع وصوت السيارات، بحياة هادئة بدون شوائب الماضي بحب يرتقي بي وبروحي المتعبة حتى وصلت الشركة وحلمي يلازمني، يبحث عن واقع آخر ليس فيه تلك الوجوه المشوهة، بين الابتسامة والحزن، يتخلل صوت أحمد رقيقا هادئا، أعادني صوته إلى الواقع.

طلب مني مرافقته إلى المكتب وفعلت دون تردد

كان كلامنا متعدد لا يسير باتجاه واحد، معه كنت أجاهد روحي لأبعد عن الماضي بكل ما فيه، أشعر معه بمزيج من الفرح والخوف، تكررت لقاءاتنا ليس داخل الشركة فحسب بل كانت في أماكن متعددة كنت سعيدة بتواجده معي وبزياراته المتكررة في منزل والدتي المتواضع، هو يتحدث ويغدق عليّ وعلى والدتي بحنان لم أعتده من أحد من قبل، بدأت أدمن حبه وبدأ يسرقني من الماضي بكل صوره الشائبة، كيف حدث هذا وما الذي أوصلني إلى هذه الحالة من الحب الجنوني به، مجرد سماعي صوته أشعر بلذة الحب تنتابني، ويسكن طيفه ليلي يدثرني بإحساس دافئ يضيء في قلبي شعلة الشوق إليه، في إحدى زياراته قال:

- حياة ساعدي والدتك بارتداء ملابسها وتحضير ما تحتاجه وكل حاجياتك وهيا بنا سأكون بانتظارك في السيارة حين تنتهين أخبريني لأساعد والدتك في الخروج

-انتظر أحمد إلى أين..؟؟

-إلى بيتكم الجديد ألا تذكرين ما قلته لك يوم كنا هناك هذه مفاجئتي إليك. لقد آن الأوان لنضع حدا لموجة الحزن التي جرفك بها الزمن.

- ما بك لماذا كل هذه الدهشة؟أسرعي أنا أنتظر بالخارج.

-كيف لنا أن نذهب ونعيش في بيت ليس لنا ..؟

-حياة لا ترددي إنه يريدك وعيناه تتحدث عنه وزياراته واهتمامه كل هذا لم يلفت انتباهك، أم أنك تتجاهلين.

إنه يحبك ويريدك زوجة له.وإلا لماذا ينقلنا إلى بيته، لاتضيع فرصة الحياة المريحة والحب بترددك، هيا دعينا نذهب معه، لو كان في نيته شيء غير الزواج لما اصطحبني معك.

هو يريدنا معا هيا حبيبتي كم أتمنى أن أراك سعيدة في بيتك مع رجل يحبك ويخاف عليك وها هو أمامك دعك من الخوف ودعينا نرتب أشياءنا... الرجل ينتظر.

رتبت أشياءنا بصمت أعطينا مفتاح الغرفة لصاحبة المنزل وناديت أحمد، أخذ الحقيبة إلى السيارة.

وأنا أمسكت بوالدتي لأساعدها على السير إلى السيارة، وركبنا السيارة وحالة الصمت تلازمني.

قال أحمد لوالدتي الحمد لله اليوم وضعك أفضل بكثير بدأت تمشين بشكل أفضل.

-نعم يابنى، لا أعلم ما أقول إن ما تفعله معنا يفوق حد الشكر

- أرجوك ألم أقل لك أنت أمي هل تشكر الأم ابنها على واجبه تجاهها.وقريبا سنكون عائلة واحدة بإذن الله.

- أليس كذلك حياة..؟

- لم أفهم أحمد ماذا قلت..

- أنت لست معنا هل عاد الشرود يأ خذك مني لا عليك ستتحدث في المنزل

وصلنا إلى البيت ونزلنا من السيارة أنزل أحمد الحقائب وأنا ساعدت والدتي في النزول.

دق أحمد الجرس..؟

- أحمد لماذا تدق الجرس أين مفتاحك..؟

- لم أخبرك لقد أحضرت سيدة طيبة بحاجة للعمل لتقيم معك ووالدتك وتهتم بها حين تكونين بالعمل.

نظرت إليه بصمت لابل بذهول وتابع أحمد ما بك حياة؟

-هل هناك مايزعجك؟

ابتسمت والدتي لا تهتم هي المفاجأة لا أعلم كيف أشكرك على كل ما تفعله من أجلنا.